محمد الخامس ودوره في الحركة الوطنيـة المغربيـة
١٩٢٧ – ١٩٦١

سمير صبري عبد العزيز ناجى
ماجستيرفي التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب - جامعة المنوفية
جمهورية مصر العربية

بيانات الأطروحة

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير
تخصّص التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب
(٤٢٠) صفحة

الباحث: سمير صبري عبد العزيز ناجى
إشراف: أ. د. حلمي شلبي
جامعة المنوفية
جمهورية مصر العربية ٢٠١٨

كلمات مفتاحية:
المغرب؛ مراكش؛ محمد الخامس؛ الحركة الوطنية المغربية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.21608/KAN.2020.168411

مُقدِّمَةُ

عاش المغرب لمدة طويلة متمتعًا باستقلاله الذاتي قبل أن تُفرض عليه الحماية الفرنسية، حيث عرف أزهى فتراته مع دولتي المرابطين والموحدين، حيث شهدت الرقعة الجغرافية المغربية أقصى توسع لها حيث امتدت نحو تونس والجزائر من جهة الشرق ونحو الأندلس من جهة الشمال وموريتانيا والسنغال من جهة الجنوب، إلا أنه مع بداية القرن التاسع عشر ساءت الأمور وأصبح المغرب فريسة سهلة تسابقت الدول الأوروبية الاستعمارية لاصطيادها، وفى مطلع القرن العشرين استطاعت فرنسا بعد عدة تسويات واتفاقات أجرتها مع الدول الأوروبية الأخرى الطامعة في احتلال المغرب أن تفرض عليه ما عُرف بنظام الحماية وذلك في ٣٠ مارس ١٩١٢م.

وبمجرد أن وطأة الجيوش الفرنسية الأراضي المغربية هب الشعب المغربي الرافض للسيطرة الأجنبية إلى الدفاع عن أرضه، قائمًا إلى الجهاد في سبيل الوطن، فركزت المقاومة في البداية على محاولة وقف عمليات الاحتلال وضمان بقاء الدولة، لكن باءت بالفشل نظرًا لعدم توازن القوى العسكرية، وبالرغم من ذلك استمر صمود المغاربة، فلم يرض الشعب المغربي بالوجود الاستعماري معبرًا عن رفضه بأساليب شتى اختلفت باختلاف الظروف ومستوى الوعي طيلة فترة الاحتلال.

وفى ظل السيطرة الاستعمارية كانت العناية الإلهية تفيض للأمة المغربية شخصيات من أبنائها مُنقذة لها تمد لها يدها، حين تكون قاب قوسين أو أدنى من الانهيار، وتركت ورائها تاريخًا تذكر به من بعد حياتها، وأثروا على مجرى الأحداث في زمنهم وتميزوا عن غيرهم بأعمالهم الخالدة. فولعًا وشغفًا بحب التاريخ، وإعجابًا وتقديرًا لعظماء المغرب، ولأن نسيان الذاكرة هو انتقاص من شأن الأمة، وجدنا أنه من الضرورة بما كان البحث في سير هؤلاء العظماء، خصوصًا ممن لم ينالوا حقهم من الكتابة التاريخية.

ومن هذه الشخصيات التي برزت في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، وأبلت البلاء الحسن في مسيرة الكفاح التحرري "الملك محمد الخامس"، الذى سعت فرنسا الاستعمارية لتوليته العرش لصغر سنه وعدم إلمامه بالشؤون السياسية، ولكنه استطاع أن يقود سفينة الكفاح في وسط الأمواج المتلاطمة ليصل بها إلى بر الأمان وينتزع استقلال بلاده على الرغم من المؤامرات التي حيكت ضده، فوعيًا منا لحجم هذه الشخصية وقع عليها الاختيار كموضوع للدراسة، محاولين بذلك إبراز ثقلها وأهميتها ومدى تأثيرها على مجرى الأحداث خلال سنوات النضال السياسي والكفاح التحريري.

الدراسات السابقة

وقد سبقت دراسة ذلك الموضوع عدة أُطروحات للماجستير والدكتوراه دون التعرض بشكل مُفصل لدور محمد الخامس الكامل في تعزيز دور الحركة الوطنية المغربية لاستقلال المغرب، حيث أن معظم هذه الدراسات قد تعرضت للاحتلال الأجنبي للمغرب وحركات المقاومة المغربية كأُطروحة الماجستير التي قام بها الدكتور حسن محمد حسن البدوي بعنوان "**الأمير عبدالكريم الخطابي حياة كفاح ضد الاستعمار الفرنسي (١٩٤٧-١٩٦٣م)**"، **وكذلك أُطروحة الماجستير للباحثة** رحاب محمد مصطفى **بعنوان " حزب الاستقلال المغربي "دراسة في توجهاته الفكرية ودوره الوطني ١٩٤٤-١٩٥٦"**، وكذلك أُطروحة الماجستير للدكتور محمد أحمد البرعى الشرقاوي بعنوان: "**التدخل الأوروبي في مراكش وأثره على الوعى القومي المراكشي ١٨١٤-١٩٥٦م**"، وكذلك أُطروحة الماجستير للدكتورة سلوى إبراهيم العطار، **المقاومة ونشأة الحركة الوطنية في المغرب من الحماية حتى سقوط دولة الخطابى١٩١٢-١٩٢٦**، وأُطروحة الماجستير للدكتور ماهر عطية شعبان بعنوان: "**مصر والحركة الوطنية في مراكش من الحماية إلى الاستقلال ١٩١٢-١٩٥٦م**"، وكذلك أُطروحة الدكتوراه للدكتور رضا عبد الفتاح أحمد على بعنوان "**الوفد والقضايا العربية ١٩١٩ – ١٩٥٢**".

دواعي اختيار الموضوع

أما عن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذه الشخصية دون غيرها لتكون موضوعًا دراستي فهي أسباب **عدة منها:**

أولاً: إن أغلب ما كُتب في هذه المرحلة من تاريخ المغرب يكتنفه الغموض ويحتاج إلى إعادة كتابته بأقلام وطنية لاسيما وأن أغلب الدراسات الخاصة بتاريخ الكفاح المغربي كتبت بأيدي فرنسية غير بريئة وتحوي الكثير من المُغالطات التاريخية التي تسئ إلى رموز الثورة وقادتها في محاولة لتقزيم أدوارهم وتشويه تاريخ الثورة على العموم، بينما الكتابات المغربية مجدت وعظمت من دوره الوطني، ولذلك وجدنا من الضروري أن نقف بموضوعية على تاريخ الحركة الوطنية المغربية ودور محمد الخامس فيها كمحاولة لإجلاء الحقيقة وإظهار الدور الحقيقي له.

ثانيًا: التجاهل الذي لاقته تلك الشخصية على صعيد الدراسات الأكاديمية التي خُصصت للبحث في حياة الكثير من الشخصيات السياسية والاجتماعية، فلذلك سوف يتم التركيز على دور محمد الخامس في الحركة الوطنية المغربية وما يتعلق بذلك من أدوار وجوانب مختلفة من حياته الشخصية وعلاقاته بالقوى السياسية في الداخل المغربي، وكذلك علاقات المغرب الدولية في عهده، وانعكاسات الموقف الدولي والعربي من القضية المغربية على علاقاته بالحركة الوطنية وهو مالم يتم تغطيته بشكل مباشر في الدراسات السابقة.

ثالثًا: إن معظم الباحثين اتجهوا إلى دراسة الحركة الوطنية المغربية ككل وانصب اهتمامهم وتركيزهم على إنجازاتها، وهذه الشخصية لم تحظ بعناية الباحثين العرب بقدر كاف، كما أن افتقار المكتبة العربية لمثل هذه الدراسات، أمرٌ له مسوغاته الموضوعية في تكريس رسالة علمية لدراسة الدور الوطني الذي قام به الملك محمد الخامس في خدمة القضية الوطنية المغربية في تلك الفترة المليئة بالأحداث، والتي تجعل منه موضوعًا حيويًا في تاريخ العرب الحديث والمعاصر.

رابعًا: أردت من خلال هذه الدراسة المساهمة ولو بتواضع في إثراء مواضيع تاريخ رجالات الكفاح الوطني الذين نعرف عنهم القليل بالنظر إلى الدور الكبير الذي لعبوه من أجل الوطن.

منهج البحث

أما منهج البحث فقد خضعت الدراسة لمنهج البحث التاريخي الذي يقوم على جمع الأصول والمصادر وإثبات صحتها وتحرى الأصول وتحديد العلاقة عليها ونقدها وإثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وتحليلها ثم عرضها عرضًا تاريخيًا مقبولاً هذا من جهة، وربط النتائج بالمقدمات من جهة أخرى.

الصعوبات

أما بالنسبة للصعوبات التي واجهتنى فقد تمثلت في صعوبة الحصول على الوثائق المغربية، وصعوبة إيجاد بعض المصادر العربية لعدم وجودها أو فقدانها وصعوبة التوفيق بين الاختلاف في وجهات النظر في بعض المصادر العربية والأجنبية واختلاف الرأي في تقديم الأحداث التاريخية، الشيء الذي جعلني اختار منها ما اعتقده أكثر موضوعية وعلمية.

مصادر البحث

أما عن أهم مصادر الدراسة، فقد استندت هذه الدراسة بالدرجة الأولى على الوثائق المودعة بدار الوثائق القومية مثل: وثائق الخارجية المصرية، وأرشيف البلدان، ووثائق عابدين، ومجلس النظار والوزراء، ووثائق البلاط الملكي العراقي، والوثائق البريطانية (*Foreign Office*)، والوثائق الأمريكية *Foreign relation of the United States (1927-1961)*، إضافةً إلى الكتاب السنوي للأمم المتحدة *Year book of the united nation*، والذى يتضمن التقارير الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة والتي تحتوى على معالجات لموقف المنظمة الدولية من أبرز القضايا المرتبطة بالبحث، وكذلك الاستعانة ببعض محاضر والقرارات الخاصة بجامعة الدول العربية وتقارير الأمين العام للجامعة، ومحاضر جلسات مجلس الشيوخ والنواب المصري.

كما اعتمدت الدراسة على المصادر والمراجع المتصلة اتصالاً وثيقًا بموضوع البحث، وترجع أهمية هذه المصادر والمراجع أنها قد كتبها باحثون متخصصون من مختلف الاتجاهات لاعتمادهم على مصادر ربما لم يكن في استطاعتي الحصول عليها، إلى جانب أرائهم ذات الأهمية في التعليق على الأحداث وتحليلها، ومن هذه المراجع: الغالي العراقي، محمد الخامس (سياسة التحرير بين فن الممكن والمستحيل)، روم لاندو، أنا عائد من مراكش، عبدالكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية المغربية، علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، هذا إلى جانب العديد من المراجع الأجنبية، والأبحاث المنشورة وكذلك المقالات المنشورة على المواقع الإلكترونية التي لا تقل أهميتها عن المراجع التي ذكرتها.

أما الصحافة المصرية والعربية، فقد كانت أحد الروافد المهمة لتغطية ومتابعة الكثير من الأحداث والقضايا التي تضمنتها هذه الرسالة وشكلت سندًا قويًا في إلقاء أضواء جديدة على بعض الثغرات، وتزويد الباحث بالمزيد من المعلومات لدراسة بعض الزوايا المظلمة في بعض جوانب الرسالة، ونذكر على وجه الخصوص صحيفة الأهرام التي تضمنت العديد من المعلومات والحقائق، كما استفاد الباحث من الدوريات ولا سيما مجلة المُصور والنداء والأساس، وجريدة المنار الجزائرية وغيرها.

كما إنني استفدت استفادة كبرى من مجموعة الرسائل العلمية، وهي تمثل جهد الباحثين القائمين عليها، وبالتالي تعطى معلومات مركزة إلى حد كبير تخدم في كثير من الأحيان مادة البحث، والتي تعد من الروافد المهمة التي زودت الرسالة بالمعلومات عن الكثير من الأحداث التي شهدتها المملكة المغربية في ذلك الوقت.

محتويات الأطروحة

أما طبيعة الدراسة قد اقتضت تقسيمها إلى مقدمة وتمهيد وستة فصول رئيسية وخاتمة:

أما عن **التمهيد** فقد تناولت فيه التنافس الاستعماري بين القوى الاستعمارية الكبرى منذ أواخر القرن التاسع عشر وصولاً إلى توقيع معاهدة الحماية ١٩١٢م، وكذلك السياسة الاقتصادية والعسكرية والإدارية التي اتبعتها القوى الاستعمارية في المغرب ودورها في إيقاظ واندلاع حركة المقاومة المغربية بقيادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي الذي خاض معارك متعددة مثل معركة انوال ١٩٢١م والتي حقق فيها انتصارًا عظيمًا الأمر الذي جعل القوى الاستعمارية (فرنسا – إسبانيا) تتحالف للقضاء عليه مما أدى إلى استسلامه عام ١٩٢٦م.

وفى **الفصل الأول** وخصصته عن " **المرحلة المبكرة من قيام محمد الخامس بدوره الوطنى١٩٢٧-١٩٣٠**" تناولت فيه ميلاد ونشأة الملك محمد الخامس في أحضان الدولة العلوية، وأهم العوامل المؤثرة عليه مثل نشأته في القصر الذى شهد العديد من الأحداث الجسام، وتنطق جدرانه وأركانه بقصص ومواقف ملوك الدولة العلوية، فبعد ولادته غادر أحد أعمامه ذلك القصر واعتكف بمدينة طنجة، إنه المولى عبدالعزيز، واعتلى العرش بعده العم الثاني المولى عبدالحفيظ، ثم ودع هذا القصر والعرش ليؤول المُلك إلى والده المولى يوسف، كل هذه الأحداث وقعت والأمير محمد يشهد ويرى ويسمع ويلاحظ ما تكتوي به ضلوع من حوله، وما تفيض به عيونهم من لوعة وحزن، ما حدث أمام عينيه لم يكن صراعًا بين إخوة أو أبناء، سباقًا إلى الحكم أو رغبة في الاستئثار به، ولكنه كان زلزالاً ضرب

المغرب كله ومن بين العوامل التي كان لها أثرٌ واضح في تكوينه الحالة التي وصل إليها الشعب المغربي في ظل نظام الحماية البغيض وما يعانونه من فقر وجهل وتفشي للأمراض والأوبئة، الأمر الذى جعله ينتقد سلطات الحماية في داخله، وكانت مظاهر البؤس والفقر التي شاهدها تلازمه وتشوش كثيرًا على سلوكه وهدوء طبعه، كما تناولت دور فرنسا في تربع محمد الخامس على العرش عام ١٩٢٧، واستهلال قيادته للعمل الوطني بموقفه من السياسة البربرية، وكذلك صدى الكفاح المغربي في العالم العربي.

أما **الفصل الثاني**: وهو بعنوان "**دور محمد الخامس والقوى السياسية المغربية ١٩٣٠-١٩٣٩م**"، فقد تناولت فيه إرهاصات العمل الوطني والعوامل التي أدت إلى ظهوره والتي تتمثل في تردي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية، وكذلك المقاومة المسلحة التي اندلعت في مختلف أنحاء البلاد ضد المحتلين الفرنسيين والإسبان بقيادة الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي شن غاراته على القوات الإسبانية وكبَّدهم خسائر كبيرة، وحرر مساحات شاسعة من الأراضي المغربية على الرغم من قلة إمكانياته العسكرية، والحركة السلفية التي انتشرت في المغرب، كما تناولت بداية ظهور الأحزاب الوطنية، وكذلك موقف الملك من مختلف القوى السياسية والحزبية التي ظهرت في المنطقتين الشمالية والجنوبية في محاولة منه للم شمل أطياف الحركات والأحزاب السياسية للعمل في سبيل الحصول على استقلال الوطن، ثم موقفه من انتفاضة بوفكران الدامية عام ١٩٣٧م.

أما **الفصل الثالث** فقد خصصته للحديث عن: "**موقف محمد الخامس من تطور أحداث الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥**: حيث تناولت فيه بالشرح والتفصيل الموقف الذى اتخذه الملك محمد الخامس من الحرب العالمية الثانية وتحديدًا في عام ١٩٣٩م فما كان من الملك إلا أن أصدر أمرًا بمشاركة الجنود المغاربة في الحرب إلى جانب فرنسا، فلما استسلمت للألمان عام ١٩٤٠م أبدى تأثره وحزنه الشديد، واستمر على ولائه لها، مضيعًا على نفسه وشعبه فرصة التخلص من سيطرتها، وتفاصيل مؤتمر أنفا الذى أكد فيه الرئيس الأمريكي للعاهل المغربي على تأييده لحصول المغرب على الاستقلال، وما إن حلت السنة الموالية لانعقاد المؤتمر حتى هيأت نخبة من الوطنيين عريضة ضمنوها المطالب الأساسية المتمثلة في استقلال البلاد، ولكن فرنسا رفضت عريضة حزب الاستقلال، وردت عليها بأن أعلنت عزمها على إدخال بعض الإصلاحات، وزجت فرنسا بالوطنيين في السجون، واتهمت الوطنيين بالتواطؤ مع عدوها اللدود ألمانيا الهتلرية، ولم يشفع لهم أن المغرب وضع تحت تصرف الدول الحليفة جميع موارده الطبيعية وقواعده العسكرية، وأن أبناءه قاتلوا في صفوف الحلفاء لتحرير فرنسا وإيطاليا من النازية. كما لجأت الإقامة العامة الفرنسية إلى تعميق هوة الخلاف وشق الصف الوطني، فتارة كانت تلجأ إلى إذاعة أخبار كاذبة عن مملائة الملك للفرنسيين، وتارة أخرى عن معارضته لهم، هذا فضلاً عن أن رأس السلطة في الدولة الفرنسية لم يخرج عن هذه السياسة حينما دعا الملك لزيارة العاصمة الفرنسية باريس ملوحًا له بآمال ووعود بالاستقلال أفرغها ديجول من محتواها حينما عاد الملك من تلك الزيارة خالي الوفاض اللهم إلا باستثناء ذلك الوشاح الذى قلده إياه ديجول مُكافأة له منه من قيادة الحلفاء على دور المغرب في الحرب ما انعكس على صورة الملك في نظر بعض القوى السياسية التي رأت أن الملك ربما لم يستغل إمكانياته في الحصول على مكاسب سياسية أثناء ذلك اللقاء.

وتناولت في **الفصل الرابع**: وهو بعنوان "**علاقة القصر والأحزاب بالاحتلال ١٩٤٧-١٩٥١**" حيث تناولت فيه ارتفاع مد تيار الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية في المغرب والإصلاحات التي لجأت إليها فرنسا لامتصاص الحماسة الملتهبة في قلوب المغاربة وصرف أنظارهم عن المطالبة بالاستقلال، ثم زيارة الملك محمد الخامس لطنجة عام ١٩٤٧م وخطابه فيها والذى كان بمثابة نقطة فارقة على درب العمل الوطني حيث أعلن فيه بأن الحركة الوطنية المغربية في بلاده إنما هي جزء من الحركة الإسلامية والعربية للتخلص من المستعمر الأجنبي، وكذلك تصاعد الصراع بين العرش وسلطات الاحتلال الفرنسي، ومحادثات العاهل المغربي مع الحكومة الفرنسية في باريس ١٩٥٠م، ومحاولة خلع محمد الخامس ١٩٥١م، والموقف العربي من هذه المحاولة سواء على مستوى جامعة الدول العربية أو على المستوى الرسمي والشعبي، ثم دخول القضية المغربية في أروقة الأمم المتحدة عام ١٩٥١م.

وخصص **الفصل الخامس**: وهو بعنوان "**عزل محمد الخامس عن العرش وردود الأفعال المحلية والعربية والدولية" ١٩٥٣-١٩٥٥م**، حيث تناولت فيه تدهور العلاقات بين القصر وسلطات الاحتلال الفرنسي خاصة خلال السنوات الأولى من خمسينيات القرن العشرين

والتي وصلت إلى حد المواجهة المباشرة وتبادل الانتقادات خاصة حينما اختار الملك الامتناع عن توقيع الظهائر(المراسيم) والمصادقة على القرارات التي قدمتها إليه سلطات الاحتلال، ورفضه للإصلاحات المزعومة التي باشرتها، وعلى إثر فشل المفاوضات التي أجراها مع المسؤولين الفرنسيين، لم يبق أمامه إلا العمل على اتخاذ سياسة علنية لمساندة حزب الاستقلال، وذلك بهدف تعزيز موقفه الوطني الرافض لإملاءات سلطات الاحتلال الفرنسي ؛ إذ كان يتصرف بحكمة وبكثير من التأني في حقل ملئ بالأشواك والمصاعب من أجل تحقيق الاستقلال للمغرب، وكذلك تناولت أهم الملابسات والدسائس والمؤامرات الاستعمارية التي ساهمت في عزل الملك محمد الخامس وأسبابها، وتأثير عزله على الحركة الوطنية المغربية، وموقف جامعة الدول العربية إزاء هذه التطورات، وكذلك الموقف العربي والدولي منه.

أما **الفصل السادس**: وهو بعنوان "**محمد الخامس واستقلال البلاد وسياستها الداخلية والخارجية١٩٥٦-١٩٦١**"، حيث تناولت فيه الظروف والملابسات التي أجبرت وأرغمت الحكومة الفرنسية على فتح مفاوضات مع مختلف القوى الوطنية المغربية والتي عرفت باسم مفاوضات "أيكس – ليبان"، وكذلك ظروف عودة الملك محمد الخامس إلى بلاده، ثم جهوده الوطنية لتصفية الوجود الأجنبي (الإسباني – الفرنسي – الأمريكي) في المغرب، ثم إصلاحاته الداخلية في المجالات الاقتصادية والإدارية والتعليمية والعسكرية والنيابية، وجهود بلاده المتواصلة لدعم القضايا العربية وخاصة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، والقضية الجزائرية حتى وفاته عام ١٩٦١م.

نتائج الدراسة

أما الخاتمة فقد أظهر فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته لدور الملك محمد الخامس في الحركة الوطنية المغربية وهي:

١- سيبقى محمد الخامس من أهم رموز المقاومة المغربية في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر بفضل معاركه التي خاضها ضد الفرنسيين الذين حاولوا تسخير المغرب لصالحهم واستغلال ثرواته طمعًا وجشعًا، وطمس الهوية البربرية بمسخها وتشويهها، والإساءة إلى حرمات الأمازيغيين وأعراضهم، والمس بشخصيتهم الدينية المبنية على حب الإسلام، وزعزعة ثقتهم عن طريق خلق الفتن بمحاولة فصلهم عن إخوانهم العرب بيد أن أمازيغ جبال الأطلس المتوسط، استطاعوا أن يصدوا المحتل وأن يلقنوه درسا في الصمود والتحدي وخاصة في المعركة الشهيرة التي كانت بمثابة نقطة سوداء في تاريخ فرنسا بالمغرب وهي عزل محمد الخامس عام ١٩٥٣م.

٢-كان لموقع بلاد المغرب الاستراتيجي على خريطة السياسة العالمية أكبر الأثر في زيادة الأطماع الأجنبية، ولذلك تسابقت القوى الاستعمارية للسيطرة عليها. فبعد احتلال إنجلترا لمصر في عام ١٨٨٢ وإشرافها على الطرق الموصلة إلى الهند، شعرت فرنسا بتخلخل التوازن الدولي وبدأت في إثارة العراقيل ضد إنجلترا، ونتيجة لعدم تمكنها من إجبار إنجلترا على الجلاء عن مصر، رأت مساومة الحكومة البريطانية على حل وسط وهو أن تتغاضى فرنسا عن احتلالها لمصر في مقابل أن تترك إنجلترا لفرنسا حرية الحركة حتى تتمكن من الاستيلاء على المغرب الذي كانت تتطلع إلى احتلاله، خاصة بعد ظهور ألمانيا على مسرح الأحداث كقوَّةً عظمى، ورغبتها في التنافس على المستعمرات.

٣- كانت معاهدة الحماية مؤشرًا خطيرًا على تنازل المملكة المغربية عن كل مظاهر السيادة الداخلية والخارجية وما ترتب عليها من تشريعات استعمارية تضمنت حرمان الشعب من أبسط الحقوق الديمقراطية، وكانت النتيجة المباشرة لذلك انطلاقة ثورة الريف بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أنشأ جمعية وطنية أخذت على عاتقها مسؤولية تنظيم الكفاح والمقاومة وإدارة شؤون الحكم في المناطق المحررة، ولكن التحالف الأمبريالي (الفرنسي – الإسباني)، واستخدام الغازات السامة وضع حدًا لطموح الخطابي في إرساء مشروعه الجمهوري وأنهى ما أبدعه من طريقة جديدة في مواجهة الاستعمار، وهي حرب العصابات التي أخذت عنها كثير من الشعوب التي كانت تحت الاحتلال . وكانت انطلاقة تلك الثورة بمثابة المسمار الأول الذي دُق في نعش الوجود الفرنسي في المغرب، فمنذ انطلاقها بدأت السيطرة الفرنسية بالزعزعة لتمهد الطريق أمام القوى الوطنية الداخلية للدفاع عن المغرب.

٤-في ظل المؤامرات الدولية لإخضاع المغرب، كان القصر الملكي بفاس قد استقبل مولد محمد الخامس الذي سعت فرنسا الاستعمارية لتوليته العرش لعدم إلمامه بالشؤون السياسية، فحرصت ومن يسير في ركابها من رجال المخزن على إحاطته بكل مظاهر التسلية، وإبعاده عن الشعب وعن الحركة الوطنية في محاولة منها لإبعاده عن التفكير في مشاكل المملكة أو التطلع إلى ممارسة سلطاته التي خولها له عقد

البيعة، ولكن انقلب السحر على الساحر لأنه كان دائماً منشغلاً بهموم الأمانة الملقاة على عاتقه.

٥- عمدت فرنسا منذ احتلالها للمغرب إلى قطع الصلة بين المغرب وبين الوطن العربي والإسلامي كجزء من سياستها الاستعمارية الهادفة إلى الاحتفاظ بهذا القطر، والقضاء على مقومات شعبه الدينية والفكرية والحضارية، فكان إصدار الظهير البربري لعزل المناطق البربرية عن بقية مملكة المغرب ؛ إلا أن سياستها هذه قد أدت إلى نتائج عكسية، وشكلت فرصة ملائمة لانطلاق الحركة الوطنية، وبروز الوجوه السياسية المثقفة القادرة على مقارعة الاستعمار بأساليب سياسية، والتي تبنت التنظيم السياسي والعمل الوطني، ولو نجحت الآمال الفرنسية لانقسم المغرب إلى دويلتين ضعيفتين سياسًا، هزيلتين اقتصاديًا، خاضعتين ذليلتين للمستعمر الفرنسي وسطوته العسكرية.

٦- إن الملك محمد الخامس قد أدرك وبوعي منذ وقت مبكر أن الارتقاء بالمسؤولية الوطنية وتحقيق أهدافها العظيمة يتطلب العمل الجاد المستمر، ولذلك أجرى تنسيقًا مع الحركة الوطنية المغربية التي اعتبرت هذه المبادرة والالتفاتة تعزيز وقوة لنضالها في مواجهة المحتل الفرنسي، وكلل هذا الجهد الوطني والتنسيق لاحقًا بإقرار وثيقة المطالبة بالاستقلال التي تقدم بها حزب الاستقلال المغربي، والحرب العالمية الثانية كانت في أوجها والتي حظيت بمباركة الملك وتأييده لما تضمنته من مطالب، الأمر الذي كان بمثابة الصاعقة لفرنسا وسياستها في شمال أفريقيا، ويعكس نضجًا ووعيًا مبكرًا لدى الملك مما عجل بعرض قضية استقلال المغرب في الأمم المتحدة.

٧- شهدت الفترة التي أعقبت نهاية الحرب العالمية الثانية الكثير من التطورات على الساحة العربية والدولية التي انعكست على تطور الحركة الوطنية المغربية، فلم تعد الحركة الوطنية تكتفى بالتعاون مع بعضها البعض بل ظلت تبحث عن دعم خارجي، يذكى مجهوداتها النضالية للحصول على الاستقلال، فربطت علاقاتها مع الشرق العربي لأجل كسب التأييد العربي لها ضد فرنسا وخاصة في أعقاب إنشاء الجامعة العربية حيث وفرت باعتبارها منظمة إقليمية عربية إطارًا مناسبًا أضفى الشرعية على تدخل أعضائها من أجل استقلال الدول الأخرى وجعله حقًا لها وواجبًا عليها، ثم منظمة الأمم المتحدة في العام نفسه، وقد وجدت الحركة الوطنية فيها من خلال مبادئها المناخ المناسب للمطالبة باستقلال الشعوب التي ما زالت تحت السيطرة الاستعمارية، وهو الأمر الذى صاحبه انهيار الإمبراطوريات القديمة، وظهور قوى جديدة تمثلت في الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، مما أعطى الفرصة وساعد على ظهور حركة الاستقلال التي اجتاحت العالم الثالث.

٨-كانت حادثة حصار القوات الفرنسية للقصر الملكي للضغط على الملك محمد الخامس لتنفيذ مطالبها بإدانة أعمال حزب الاستقلال واعتقال عناصره مؤذنة بانفجار الشعور العربي والإسلامي في بلاد المشرق العربي تضامنًا مع المغرب، وفى الوقت نفسه كانت تلك الحادثة إيذانًا بتعظيم دور مصر في مساندة الحركة الوطنية المغربية وقد تجلى ذلك في رفض حكومة مصطفى النحاس لصفقة الأسلحة التي عرضتها فرنسا عليها من أجل غض طرفها عن مساندة القضية المغربية.

٩-كانت حادثة محاصرة القوات الفرنسية للقصر الملكي في المغرب عام ١٩٥١م بدعوى تطهيره من العناصر الشيوعية المتمثلة في أعضاء حزب الاستقلال تتشابه إلى حد كبير حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢م في مصر والتي ادعت فيها بريطانيا رغبتها في تطهير القصر من العناصر المحورية التي يستعين بها الملك فاروق في قصره، ويكمن التشابه أيضًا في التصرف الذي لجأ إليه الملكين بتمرير الأزمة وذلك بمهادنة المستعمر في مطالبه رغبة في حقن الدماء وعدم تعريض مستقبل الوطن لخطر لا يعلم مداه إلا الله.

١٠- لقد اعتقد المستعمر أنه بنفي السلطان الشرعي، والزج بزعماء الحركة الوطنية في السجون سيحكم قبضته على البلاد وإخماد جذوة المقاومة وزرع اليأس والخوف في صفوف الشعب، غير أن هذه الجريمة النكراء بقدر ما خلقت استياء عميقًا في النفوس بقدر ما ألهبت نفوس المغاربة وأذكت مشاعر تشبثهم بوطنيتهم وهويتهم، فهبوا جميعًا للدفاع عن مقدساتهم وثوابتهم، فبمجرد شيوع خبر المؤامرة المشؤومة اجتاحت المظاهرات الصاخبة والانتفاضات العارمة جميع أنحاء المملكة، وكان ذلك إيذانًا باندلاع ثورة الملك والشعب التي جسدت أروع مظاهر التلاحم والتمازج بين القمة والقاعدة في مواجهة الاستعمار مما اضطر الإقامة العامة لفتح مفاوضات مع المغرب انتهت بحصوله على الاستقلال.

١١- إن السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في المغرب خاصة بعد عزلها محمد الخامس قد أدت إلى استياء العديد من الدول العربية، حيث كانت هذه

المواقف في معظمها تعبير صادق وشجاع عن هذا الموقف التاريخي من عدوان ليس على المغرب أو الأمة العربية والإسلامية، ولكنه اعتداء على البشرية جمعاء وعلى القيم الإنسانية التي تتشدق بها فرنسا، ففي مصر لعبت إذاعة صوت العرب دورًا كبير في نقل صورة تفصيلية عن الكفاح المسلح الذى كان يخوضه المجاهدون المغاربة في المدن المغربية ضد أعتى قوة استعمارية في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو ما جعل الرأي العام العالمي يدرك صمود الشعب المغربي وثباته أمام أساليب التعذيب، وحملات الإبادة الجماعية، التي كانت تمارسها فرنسا في المغرب والتي أدعت أنها جاءت لتمدين المغرب وإيجاد مبادئ العدل والأخوة والمساواة.

١٢-كانت الزيارة التاريخية التي قام بها محمد الخامس لمدينة طنجة١٩٤٧م من أبرز المحطات التاريخية على صعيد علاقة محمد الخامس بالحركة الوطنية المغربية حيث جاءت تأكيدًا على تشبث المغرب ملكًا وشعبًا بحرية الوطن ووحدته الترابية وتمسكه بمقوماته وهويته. وقد كان لهذه الزيارة الأثر العميق على علاقة الإقامة العامة بالقصر الملكي، حيث اشتد الصراع خاصة وأن الملك لم يخضع لضغوط سلطات الحماية المتمثلة أساسًا في مناهضة الحركة الوطنية والمد التحرري، فكانت مواقفه الرافضة لكل مساومة سببًا في تأزم الوضع وشروع المستعمر في تدبير مؤامرة لنفيه إلى الخارج عام ١٩٥٣م وهو الخطأ الذي عجل بالاستقلال في النهاية. ولهذا يمكن اعتبار زيارة العاهل المغربي لهذه المدينة بمثابة بداية النهاية للاستعمار والتدخل الأجنبي في شؤون المغرب، والانطلاقة الحقيقية التي أدت إلى الاستقلال.

١٣-أدرك محمد الخامس أهمية وضع حجر أساس لبلاده بعد الاستقلال وذلك من خلال قيامه وضعه البنية التحتية لمؤسسات الدولة في المجالات السياسية والتشريعية والاقتصادية والتعليمية والثقافية والعسكرية من أجل الدفاع عن البلاد مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، فشهدت البلاد خلال السنوات القليلة بعد الاستقلال حركة كبيرة في سبيل تحقيق ذلك بمساندة الدول العربية وعلى رأسها مصر.

١٤-على الرغم من عدم توافر القوة الكاملة للمغرب للقيام بمساندة جيرانه ضد مستعمر مشترك وهو فرنسا إلا أن التزام محمد الخامس بفكرة العروبة قد دفعه دون إبطاء لمساندة الثورة الجزائرية ودعمها بالتنسيق مع أبرز زعماء البلاد العربية وهما جمال عبد الناصر والحبيب بورقيبة، وقد أسهمت عملية التنسيق المبكر بين المغرب وتونس ومصر من أجل القضية الجزائرية في تأصيل البعد العربي في سياسات المغرب الخارجية ومناصرتها لقضايا التحرر الوطني في بلاد العالم العربي.

١٥-ما من أحد إلا ويتبادر إلى ذهنه ما أنجزه محمد الخامس الملك المستقل من يوم ١٦ نوفمبر ١٩٥٥ يوم عاد مظفرًا من منفاه إلى يوم ٢٦ فبراير ١٩٦١ يوم لحق بجوار ربه، إن إنجازاته هي التي حشدت الشعب يوم فاجعته مخلوب اللب منهار القوى يوشك أن يفقد كل صواب، بل إنه قد بدا وكأنما استحال إلى سيل من العبرات المفجوعة المجزوعة تنسكب من مختلف الجهات لتتجمع في الرباط آية من أصدق آيات الولاء والاعتراف بالجميل.

وفى الختام أرجو أن أكون قد أسهمت بتواضع في إلقاء بعض الضوء على صفحة مهمة من تاريخ المغرب الحديث والمعاصر، مُعتمدًا على أسس البحث العلمي والنظر للأحداث بمقياس الموضوعية والمنطق مبتعدًا كل البعد عن الإسهاب الممل أو الإيجاز المخل.